ففهم ابو عبد الله اشارته فقال له ايّد الله الامير انّ من سعادة المرء ان يكون خصمه عاقلاً فاعجبه ذلك واستحسن الحاضرون بديهته ولطافة منزعه والله ولى من تولّاه

ذكر الخبر عن قيام ابي الحسن علىّ بن محمّد بالسوس

وصنوه ابي حسّون وما وقع في ذلك

هو علىّ بن محمّد بن الوليّ الصالح ابي العبّاس سيّدي احمد بن موسى السوسىّ السملاليّ رحمه الله كان بدء امره انّه لمّا ضعف زيدان عن القيام بالامر بالصقع السوسىّ وفشل ريحه فيه نبغ هو فدعا لنفسه وجرّ نار الرياسة لقرصه وتالّفت عليه البرابر من بسائط جزّولة وحرسا واجتمعت عليه القبائل السوسيّة واستولى على تارودانت وعمالتها الى ان اخرجه عنها الفقيه المرابط ابو زكرياء يحي بن عبد الله وصفى لابي الحسن القطر السوسىّ ونفذ به امره وسمعت كلمته ومدّ يده لدرعة فاستولى عليها ثمّ مدّ يده لسجلماسة فاستولى عليها وعلى نواحيها واستحكم امره وتقوّى عضده ولم يزل امره بسجلماسة الى ان ثار عليه عقاب الشائف الاسد الهصور مولانا محمّد بن الشريف فاخرجه من سجلماسة بعد معارك وزلازل يشيب لها الرضيع ثمّ اخرجه من درعة ايضاً ووقع بينهما بدرعة حروب عظيمة ولم يزل ابو الحسن قائما بالسوس الى ان توفّى سنة سبعين والف وكان رحمه الله ليّن الجانب محمود السيرة موصوفاً بالعفاف متوقّفاً في الدماء ولمّا مات خلفه ولده ابو عبد الله محمّد بن علىّ ولم يزل قائماً مقام والده الى ان اقتحم عليه السلطان مولانا الرشيد رحمه الله كما ياتي فبلغ صقر ابي الحسن ايلغ السوس وتركه لامس الدابر والملك لله وحده

ذكر الخبر عن قيام عبد الكريم

بن ابي بكر الشبانيّ بمرّاكش

لمّا قتل السلطان مولانا العباس بن مولانا الشيخ ابن زيدان كما ذكرنا ذلك قبل قام بمرّاكش كبير حيّ الشبانة عبد الكريم ابن القائد ابي بكر الشبانيّ الحريريّ وهو فخذ النبغة والصميم من الشبانة وعبد الكريم هذا يعرف بكروم الحاجّ على السنة العامّة فدخل لمرّاكش ودعا الناس لبيعته فبويع بها سنة تسع وستّين والف وانتظمت له مملكة مرّاكش ونواحيها وسار في الناس سيرة حميدة وكان في ايّامه الغلاء المورّخ بعام سبعين وهو غلاء مفرط بلغ الناس فيه غاية الضرر حتّى اكلوا الجيف ولم يزل مستقيم الراس بمرّاكش الى ان توفّي بها سنة تسع وسبعين والف قبل ان يولّي مولانا الرشيد باربعين يوماً ولمّا مات بويع ولده ابو بكر واستقام له الامر بمرّاكش وسار في الناس سيرة ابيه وبقي الى ان تقبّض عليه وعلى بني عمّه السلطان الرشيد فقتلهم وافنى الشبانة قتلاً واخرج عبد الكريم من قبره واحرقه بالنار والبقاء لله سبحانه

ذكر الخبر عن الدولة السجلماسيّة الشريفة الحسنيّة

وذكر لمع من محاسنها ومفاخرها البهيّة

لا بدّ اوّلاً من ذكر نسبهم الشريف وان كان اجلى من الشمس واحلى من الظلّ الوريف غنى واعتناء عن التعريف فنقول الملوك الثلاثة الاوّل منهم وهم مولانا محمّد ومولانا الرشيد ومولانا اسماعيل ابناء مولانا الشريف ابن

مولانا على ابن مولانا محمّد ابن مولانا علىّ ابن مولانا يوسف ابن مولانا علىّ الملقّب بالشريف ابن مولانا الحسن ابن مولانا محمّد ابن مولانا الحسن ابن مولانا قاسم ابن مولانا محمّد ابن مولانا بلقاسم ابن سيّدي محمّد ابن مولانا الحسن ابن مولانا عبد الله ابن مولانا ابي محمّد عرفة ابن مولانا الحسن ابن مولانا ابي بكر ابن مولانا علىّ ابن مولانا الحسن ابن مولانا احمد ابن مولانا اسماعيل ابن مولانا قاسم ابن مولانا محمّد المدعوّ النفس الزكية ابن مولانا عبد الله الكامل ابن مولانا الحسن المثنى ابن مولانا الحسن السبط ابن علىّ بن ابي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هكذا ذكر هذا النسب الذي هو حقيق ان يسمّى سلسلة الذهب جماعة من العلماء والاكابر كالشيخ ابي العبّاس احمد بن ابي القاسم الصومعىّ والشيخ الامام ابي عبد الله محمد العربي بن يوسف الفاسىّ وروايته في كتاب الدرّ السنى فيمن بفاس من النسب الحسنىّ لشيخ شيوخنا ابي محمّد عبد السلام القادريّ وغيرهم ممّن لا يحصى كثرة وقد وقفت على كتاب الشيخ النسّابة الشريف ابي عبد الله الازورقانيّ فوجدته ذكرهم فقال ومن النسب السيّد محمّد النفس الزكية بينبوع النخل السيّد محمّد والسيّد الحسن ابنا عبد الله بن محمّد بن ابي عرفة وكان اصل سلفه بالينبوع هو واجداده لانّ جدّهم مولانا علىّ بن ابي طالب كرّم الله وجهه كان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم اقطعه اياه فلذلك بقيت فيه سلالته رضى الله عنه واوّل من دخل بلاد الغرب من اجداده الحسن بن قاسم قرات بخطّ بعض الفضلاء من اهل بلدنا حرّسها الله ما صورته اخبرنا شيخنا العلّامة ابو عبد الله محمّد بن سعيد المرغيتى قال اخبرني سيّدي ومولاي وسمط عضد محيای ابو محمّد مولانا عبد الله بن علىّ بن طاهر الحسنىّ انّ جدّهم الداخل للمغرب من ينبوع النخل هو الحسن بن قاسم قال وكان دخوله للمغرب اواخر المائة السابعة وكان حينئذ من ابناء الستّين ونحو ذلك وتوفّى رحمه الله قبل انقضاء المائة المذكورة وذكر بعضهم انّ دخوله سنة اربع وستّين وستّمائة قال الشيخ

الامام ابو اسحاق ابراهيم بن هلال انّ دخوله كان في الدولة المرينيّة ذكره في منسكه وعلى هذا فيكون دخوله في دولة ابي بكر بن عبد الحقّ المرينيّ ووفاته حسبما يأتي في خلافة السلطان يعقوب بن عبد الحقّ اخي ابي بكر المذكور ونقل صاحب الارجوزة عن ابن هلال انّه دخل في المائة السادسة وقال شيخ شيوخنا الامام ابو سالم العياشيّ في رحلته انّ مولانا الحسن دخل المغرب في المائة السابعة واليه اشار صاحب الارجوزة بقوله

ثمّ ابن سالم عبيد الله اكرم به من عالم اواه
ذكر في رحلته الفاضلة دخول ذا الامجد في السابعه

وكان سكناه بينبوع النخل بمدشر يعرف بمدشر بني ابراهيم وذكر صاحب مولانا الانوار السنيّة في نسبة من بسجلماسة من الاشراف المحمّدية انّ سبب قدوم الحسن انّ ركّاب الحج المغربيّة كانت تتوارد على الاشراف هنالك وكان امير الركب اذّاك احد اهل سجلماسة اظنّه والله اعلم السيّد ابو ابراهيم فلمّا حج بعض السنين اجتمع هنالك بالسيّد الحسن المذكور وكانت سجلماسة يومئذ خالية من سكنى الاشراف بها فلم يزل السيّد ابو ابراهيم يحسن له موطنها ويزيّن له الاقامة بالمغرب حتّى استماله فاجمع السير معهم وقدموا به مع ركبهم الى المغرب فرغب في سكناه ببلدهم اهل سجلماسة وقال حفيد الامام ابي محمّد عبد الله بن على بن طاهر فيما قيّد عنه وكان الذين اتوا به من اهل سجلماسة من اهلها اولاد البشير واولاد المغزاريّ واولاد بن عاقلة واولاد المعتصمّ وصاهره منهم اولاد المغزاريّ . وذكر صاحب الارجوزة انّ الشيخ ابا ابراهيم احد الذين جاءوا به من ذرّيّة سيّدنا عمر بن الخطّاب رضى الله عنه وقال بعضهم انّ اهل سجلماسة لم تكن تصلح الثمار ببلدهم فذهبوا للحجاز بصدد ان ياتوا برجل من اهل البيت فاتوا بمولانا الحسن المذكور فخفق الله رجاءهم واصلح

لهم ثمارهم حتّى عادت بلادهم هى هجر المغرب ونقل بعضهم على ما رايته بخطّ بعض اصحابنا ايضاً انّ سبب مجيئهم انّ الشرفاء الادارسة تفرّقوا ببلاد المغرب وانتشر نظامهم واستولى عليهم القتل والصغار من امراء زناتة فقلّ الشرفاء بالمغرب وانكره كثير من الاشراف حقداً لدمائهم فلمّا طلع نجم الدولة المرينيّة اكبروا الاشراف ورفعوا اقدارهم واحترموهم فلم يكن ببلاد سجلماسة احد من الاشراف فاجمع راي اعيانهم وكبرائهم على ان ياتوا بمن يتبرّكون به من النسب الشريف فقيل ان الذهب يطلب في معادنه والياقوت يجلب من مواضعه وان بلاد الحجاز هى مقرّ الاشراف وصدف جوهر ذلك النسب فذهبوا اليه واتوا بمولانا الحسن على ما ذكرناه فاشرقت شمس النبوءة على اهل سجلماسة وضاءت ارجاؤها حتّى قيل ان مقبرة اهل سجلماسة هى بقيع اهل المغرب وليس لاهل سجلماسة مزيّة اعظم من هذه المزيّة ولولا هى ما رفعت لهم راية اسم ولا شاع لهم ذكر وفي ذلك انشد شيخ شيوخنا ابو علىّ الحسن بن مسعود اليوسىّ رحمه الله هذا البيت

لولا المكارم آل المصطفى نزلوا بارضهم اخر الزمان ما ذكروا

وهذا البيت من مقطعات له يهجو بها بعض فقهاء اهل سجلماسة وهى هذه

حىّ الاحبّة عنّى اينما ذكروا وخصّ من حيرتي قوماً هم الغرر
ولا تحىّ لئاماً قد عهدتهم سجيّة فيهم الايذاء والضرر
وقل لذاك السجلماسىّ انّ لنا عرضاً مصوناً فلا تهتكه يا غدر
وليس من عجب ان كنت منتهشا لحم الورى فعل كلب ليس ينزجر
فانّ اسلافك الانذال قد اكلوا لحم الكلاب فذاك الطبع مدّخر
اهل سجلماسة (البدوىّ) ان نطقوا والأم الناس احلاماً اذا قدروا
لولا المكارم آل المصطفى نزلوا بارضهم اخر الزمان ما ذكروا

وذكر بعضهم انّ اهل سجلماسة لمّا طلبوا من مولانا قاسم ان يبعث معهم احد اولاده للمغرب لانّه كان اكثر شرفاء الحجاز في وقته شهرةً وديانة اختبر اولاده ممّن يليق بذلك فيقال انّه كان له من الولد ثمانية فكان يسال منهم الواحد بعد الواحد ويقول من فعل فيك الخير ما تفعل معه فيقول افعل معه الخير ومن فعل معك الشرّ فيقول له افعل معه الشرّ فيقول له اجلس الى ان بلغ مولانا الحسن الداخل فقال له ومن فعل معك الشرّ فقال له افعل معه الخير قال فيردّ ذلك بالشرّ فيقول له اعود له بالخير الى ان يغلب خيري على شرّه فاستنار وجه مولانا قاسم وتهلّل فرحاً به ودخلته اريحيّة هاشميّة ودعا له بالبركة فيه وفي عقبه فاجاب له دعوته واما ما اشتهر على الالسنة انّهم وزنوه لابيه بالمال فحكاية واهية لا راس لها ولا ذنب والله اعلم بحقيقة الحال وبين مولانا الحسن الداخل وبين جدّه محمّد النفس الزكية خمسة عشر اباً كما تقدّم قال صاحب كتاب الانوار السنيّة وعمود نسبه لم يزل محفوظاً عدده عند بنيه موصولاً نسبه فيما بينهم ونقل كذلك ايضاً عن كثير من الائمّة الاعلام كالسيّد محمّد بن يحيى العلميّ جدّ الشرفاء الشفشاونيّين حسبما قيّده من خطّه صاحب مرءات المحاسن انتهى باختصار وسبق ما يعضد من ذلك وبالجملة فانّ شرف السادات السجلماسيّين ممّا لا نزاع في صراحته ولا خلاف في صحّته عند اهل المغرب قاطبة قال الشيخ ابو عليّ اليوسيّ انّ شرفهم مقطوع فهو بصحته كالشمس الضاحية وحدّثني صاحبنا الفقيه المورّخ ابو العباس احمد الوزير الغسانيّ قال سمعت شيخنا ابا العبّاس احمد بن عبد الله بن معن الاندلسيّ يقول ما ولى الملك بعد الادارسة اصحّ نسباً من شرفاء تافيلالت وسمعت بعض اشياخنا يذكر عن شيخه الامام ابي محمّد عبد القادر الفاسيّ رحمه الله انّه قسم الاشراف اهل المغرب بحسب القوّة والضعف الى خمسة اقسام ومثل القسم الاوّل وهو المتّفق على صحّته بافراد الاعيان ومنهم هولاء السادات السجلماسيّون وكان مولانا الحسن الداخل رحمه الله رجلاً صالحاً ناسكاً له مشاركة في العلوم

وخصوصاً علم البيان فانّه كانت له فيه اليد الطولى ولمّا استقرّ بسجلماسة واطمانت به الدار زوّجه السيّد ابو ابراهيم ابنته وسكن على ما يقال في موضع يقال له المصلح ولمّا توفّى رحمه الله تنازع في دفنه اهل سجلماسة حتّى كادت نار الفتنة تنشب بينهم فاجتمع رايهم على ان يقسموا ارض سجلماسة بالحبال فقسموها ارباعاً ودفنوه في موضع يتوسّط جميع النواحى الاربعة بحيث لا يكون اقرب لجهة دون جهة وكانت وفاته رحمه الله حسبما يستفاد ممّا تقدّم سنة ستّ او سبع وسبعماية قال المؤلّف سدّده الله في دخول مولاي الحسن للمغرب وايواء اهل سجلماسة واكبابهم عليه كاكباب اهل المغرب في الزمان المتقدّم على التاج ادريس رضى الله عنه تصديق للحديث المروى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال في الجمان روى انّ فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اعطت جارية لها صدقة بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقالت لها امضى الى السوق بها وقولي من يقبل صدقة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فمن قبلها منك فاتيني به فمضت الجارية الى السوق وقالت من يقبل صدقة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال رجل مغربيّ انا موضع صدقة آل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فاعطته الصدقة وقالت له اجب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال لها نعم فلمّا بلغ الباب سالته من انت فقال لها انا رجل مغربيّ فقالت له من ايّ المغرب فقال من البربر فبكت فاطمة وقالت قال لي والدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لكلّ نبيّ حوارى وحوارى ذرّيّتى البربر سيقتل الحسن والحسين ويفرّ اولادها الى المغرب فلا ياويهما الاّ البربر فيا سوم من فعل بهم ذلك وطوبى لمن اكرمهم واعزّهم انتهى بلفظه ولم يخلّف مولانا الحسن من الاولاد الاّ ولداً واحداً وهو مولانا محمّد وترك مولانا محمّد هذا ولداً وهو مولانا الحسن سمّى باسم جدّه وهو الان مدفون حول المدينة العظمى بازاء سيّدي محمّد الحرّاز بسجلماسة وخلّف السيّد الحسن هذا ولدين السيّد عبد الرحمن المكنى بابي البركات وهو اكبرهما ومن بنيه اولاد

السيّد ابي حميد بالتصغير القاطنين بوادى الرتب بالقصر الجديد على مرحلة من سجلماسة ومنهم الشرفاء الساكنون ببنى زروال ومولانا على المعروف بالشريف ومنه تكاثرت فروع المحمّديّين وكان رجلاً صالحاً مجاب الدعوة كثير الاوقاف والصدقات حاجّاً مجاهداً ذا همة سنيّة واحوال مرضيّة رحل في بعض الاوقات الى فاس وسكنها مدّة طويلة وكان سكناه منها بالحومة المعروفة بجزاء ابن عامر من عدوة فاس الاندلس وترك هنالك داراً واقام مدّة بقرية صفرو خلّف بها عقاراً واثاراً هى بها الان واقام مدّة ببلد جرس الدين على مرحلتين ونصف من سجلماسة وترك بها مثل ذلك وكذلك رحل الى عدوة جزيرة الاندلس برسم الجهاد مراراً واقام بها مدّة طويلة ثمّ رحل الى سجلماسة فكاتبه اهل الاندلس يطلبون منه الرجوع اليهم ويحضّونه على الاعتناء بامور الجهاد ويظهرون له ضعف الجزيرة وانّها شاغرة ممّن تجتمع عليه القلوب وقد كانوا يراودونه وهو مقيم عندهم في ان يملكوه عليهم ويبايعوه والتزموا له الطاعة والنصرة فرغب عن ذلك كلّه زهداً منه فيه وورعاً وغضّ طرفه عن زهرة الدنيا رضى الله عنه وقد وقفت على رسائل عديدة بعثها اليه علماء غرناطة اعادها الله داراً للاسلام يحرضونه على الجواز اليهم والنفور الى حماية بيضة الاسلام ويذكرون انّ كافّة اهل غرناطة من علمائها وصلحائها وروسائها وظّفوا على انفسهم من خالص اموالهم دون توظيف سلطان عليهم اموالاً كثيرة برسم الغزاة الواردين معه من المغرب وحلّوه في بعض تلك الرسائل بما نصّه الى الضرغام الهمام وقطب دائرة فرسان الاسلام الشجاع المقدام الاسد الهصور والفتّاك الجسور الناسك طليعة جيش الجهاد وعين اعيان الانجاد المؤيّد بالفتح في هذه البلاد المسارع الى مرضات ربّ العباد ابي الحسن مولانا علىّ الشريف انتهى نصّ التحلية وكتبوا لعلماء فاس يامرونهم ان يحضّوا مولانا عليّاً على العبور الى العدوة فكتبوا اليه علماء فاس بمثل ذلك وحثّوه على المسارعة الى اغاثتهم وذكروا له فضل الجهاد وانّه من افضل اعمال البرّ وكان

من موجبات تخلّفه عن اغاثة اهل غرناطة انّه عزم على المشى الى الحجّ فقالوا له في بعض الرسائل وعوّض هذه الوجهة الحجّيّة التى اجتمع رايكم وتوفّر عزمكم عليها بالعبور الى الجهاد فانّ الجهاد اصلحكم الله تعالى عند اهل الغرب افضل من الحجّ كما افتى به ابن رشد رحمه الله حين سئل عن ذلك وقد بسط الكلام عليه في اجوبته ووجهه بما ذهب اليه من ذلك . وكان الذي كتب اليه من علماء غرناطة جماعة منهم شيخ المواق الامام ابو عبد الله بن سراج قاضى الجماعة ومن شيوخ فاس الذين كتبوا له الشيخ ابو عبد الله العكرمى شيخ الامام ابن غازي وابو العبّاس الماواسىّ شارح الروضة وابو زيد عبد الرحمن الرقعىّ صاحب النظم المشهور وغير هولاء رضى الله عنهم ممّن تركنا ذكره اختصاراً وممّا ضمنوه في بعض تلك الرسائل قصيدة طنّانة في مدح مولانا علىّ الشريف وصاحبه الفاضل ابي عبد الله سيّدي محمّد بن ابراهيم العمريّ وحثّوهما على اجابتهم وهى من انشاء العلّامة ابي الربيع الغرناطىّ

ايا راحلاً يطوي المفاوز والقفرا ... رشدت والقيت السلامة والخيرا
ترحّل وجدّ السير يوماً وليلة ... وسافر تجد ما في مطالعها زهرا
تحمّل حماك الله منّى الى الحمى ... تحيّة مشتاق تهيّجه الذكرا
وامّ ديار الحىّ من سجلماسة ... فتلك ديار تجمع العزّ والفخرا
وسلّم على تلك الخيام واهلها ... سلام محبّ لم يطق عنهم صبرا
فعندي لهم حبّ جرى في جوارحى ... ومازج منّى العظم والدم والشعرا
فتلك بقاع الدين والخير والهدى ... فكم مرتقىّ في سماها سمّى بدرا
هم القوم لا يشقى بهم جلساؤهم ... يضوع عبير الزهر من بينهم نشرا
وقل يا اهيل القبلة السادة الاولى ... اذا ما دعوا في حادث اسرعوا النفرا
وخصّ سليل الهاشمىّ ابن صهره ... على الذي يعلو على زحل قدرا
ابا الحسن المولى الشريف الذي به ... على الغرب شمس النصر اشرق بالصحرا

ولاحت بآفاق القلوب عجائب ... بها سلب الالباب تحسبها سحرا
هو الصقر مهمى اهتزّ كلّ مجلجل ... هزبر اذا ما انشب الناب والظفرا
هو الغوث ان دارت رحى الحرب للقا ... وغيث اذا ما المزن ما امطرت قطرا
اغار على الاعلاج فاجتاح جمعهم ... وجدّ لهم قتلى وشرّدهم اسرا
بطنجة قد طاب الممات لزمرة ... بنصرتها ترجو من الملك الاجرا
دعاها بادني السوس قدماً فاسرجوا ... من الصاقبات الجرد لم ياخذ الحذرا
فهبّت ركاب القوم والشمس اشرقت ... وارهق جيش الله اعداءه خسرا
ولا عجب انّ الاولى هو منهم ... ليوث الشرى ان عاد من جبّها هترا
اجرْ جارك اللهفان من عثراته ... ابا حسن وانصر جزيرتك الخضرا
ونادي ابا عبد الالاه خليلكم ... به تجلب السرّاء في حادث الضرّا
سليل ابي اسحاق اكرم به ابا ... لقد خلّف الفرع الزكّي الرضى البرّا
اليس الذي لبّى ندا اهل طنجة ... وجمّع اهل الغرب من حينه طرّا
واوقع بالكفّار ايّ وقيعة ... فمن لم يمت بالسيف مات بها ذعرا
واصبح ثغر الدين اشنب باسما ... وارهق وجه الكفر من حزن قترا
ونال من الله السعادة والرضى ... وجنّة عدن في المعاد له ذخرا
وقل ايها العدل الذي اتخذ التقى ... شعارا وسامى في منازلها الشعرا
ارى كلّ من في الغرب اصبح قانطا ... واندلس ترجو بطلعتكم نصرا
وغرناطة الغرّاء نادتكما اقبلا ... وبالراية البيضاء كي تنصر الحمرا
فسكّانها وقف عليكم رجاؤهم ... كبيرهم والطفل والكاعب العذرا
فجئنا بمن في ارضكم حامياً لهم ... رجالاً وفرساناً غطارفة غرّا
حماة اباة الضيم من كلّ ماجد ... كريم يباري الغيث والسيل والبحرا
لقد طمع الكفّار مالك رقابنا ... باهلاكهم في ارضنا الحرث والثمرا
فدونكم الكفّار تفنى طغاتهم ... وتشبع من قتلاهم الوحش والطيرا
منازلها من كلّ حصن وقرية ... تناديكما غوثا لخطب اتى مرّا

فكم من ضعيف لا حراك لجسمه وشيخ بها اربى على مائة عشرا
وسمر وبيض من اوانس كالدما وصبية مهد لا تقى النفع والضرّا
ومنبر جمع للخطابة والدعا ومسجد دين للصلاة وللاقرا
وكرسيّ علم مقعد لمهذّب تصدّن يملى ما يضيء لنا الصدرا
واجداث ابناء الصحابة فوقها وكلّ ولىّ اشعث لابس طمرا
تناديكما غوثاً من الله سرعة فقد كاد ان يستاصل الكفر ذا البرّا
فحثّ لنا المسير امّ لنا قربة اجيراً لنا من كيد من اضمر الجورا
وعزماً باخرى مثل تلك التى مضت ليبصر هذا الفنش حلتكم كبرا
وانتم بحمد الله تدرون ما اتى عن المصطفى في الغزو من خبر خبرا
فلله ما اسنى وددت لو انّنى قتلت فاحيا ثمّ اقتل مذ مرا
وما في كتاب الله من آية اتت كشمس ضحى في الصحو سافرة غرّا
خذاها بحمد الله عذراء حبّتها نضوع شذا تهدى لمغنا كما عطرا
وتبلغ عنّى للكرام تحيّة باندلس للغرب قد عبّروا البحرا
فغوثا رجال الله عزماً لعدوة احاطت بها الباساء وامرها الضرّا
فانتم لنا الحرز القويّ ونحوكم تشوّفنا فاستعجلوا نحونا السيرا
ونثنى على خير البريّة ذي الهدى محمّد المبعوث بالملّة اليسرا
وآل وصحب ثمّ تال لنهجه ومن لذوي الاسلام قد قصد النصرا

وبهذه الرسائل العذبة الالفاظ المستوفية الالحاظ يعلم انّ مولانا عليّاً الشريف كان مشهوراً في عصره متقدّماً على كافّة اهل قطره وانّه كان ملحوظاً بعين الاجلال عندهم وانّ هذه الدار معظّمة من قديم مشهود لها بالتقديم ولم يزل رحمه الله ورضى عنه دؤوباً على فعل الخير حريصاً على اسباب الطاعة وقسم عمره بين حجّ وجهاد ويحكى انّه في بعض السنين رجع من حجّة حجها فسنح له ان يذهب الى ناحية اكدج بالكاف المعقودة قبل الدال وهى بلدة في بلاد

السودان فحارب مدينة من مدن الكفّار وليس لها الّا طريق واحدة وهى قنطرة من الحديد فلمّا ضيّق بهم رفعوا تلك القنطرة فحمل على فرسه نحوهم فلم يجد لهم مدخلاً فارتمى نحو الباب بفرسه فلمّا راوه دخل عليهم القوا عليه قطعة من الحديد قطعت الفرس نصفين وسلّمه الله فتساقط عليه اصحابه والمسلمون في الحفير فاطلعوه اليهم واخذوا المدينة قهراً وجلس في بابها واتاه الكفّار بجاريتين فائقتين في الحسن والجمال فقالوا له اختر ايّهما شئت فاختار واحدة فاخذ الكفّار الجارية المختارة وذبحوها وضيّفوه بها فلما جاءوه بالطعام عليه اللحم استنكره مكاشفة او فراسة رضى الله عنه فسالهم عن اللحم فقالوا له لحم الجارية المختارة فقتلهم عن اخرهم الّا من اسلم وذكر صاحب كتاب الانوار بعد ما تقدّم قبله انّ مولانا عليّاً الشريف المذكور مكث اربع عشرة سنة لا يولد له شئ ثمّ ولد له بعد ذلك ولدان وهما مولانا محمّد بفتح الميم ومولانا ابو الجمال يوسف وهو اصغرهما امّا مولانا محمّد فترك اربعة اولاد السيّد الحسن والسيّد عبد الله والسيّد عليّاً والسيّد قاسماً وهم على هذا الترتيب في السنّ ويقال لسائرهم اولاد محمّد نسبة الى هذا الجد وفروعهم كثيرة يطول بنا تتبّعها وامّا مولانا يوسف فانّه ولى زاوية ابيه واجتمع الناس على انّه المتاهل لها دون غيره لرزانته ووفور عقله فتولّاها بعد نزاع ورسم توليته لها لم يزل موجوداً بيد بعض حفّاده وذلك كلّه كان في دولة بنى مرين وقال صاحب كتاب الانوار قيل انّه لم يكن له اولاد حتّى بلغ ثمانين سنة فولد تسعة من الولد خمسة منهم اشقّاء وامّهم السيّدة خليفة من ذرّيّة المرابطين الذين بسجلماسة وهم السيّد علىّ وهو جدّ مولانا نصره الله والسيّد احمد والسيّد عبد الله والسيّد الطيّب والسيّد عبد الواحد المكنّى بابي الغيث لكثرة ما نزل من المطر عند ولادته وكان الناس قبله في جذب شديد وهم على هذا الترتيب في السنّ واربعة منهم اشقّاء ايضاً امّهم السيّدة الطاهرة من ذرّيّة بعض المرابطين هنالك ايضاً وهم السيّد الحسن بالتكبير والسيّد محمّد والسيّد الحسين بالتصغير والسيّد عبد الرحمن

ومن منازل الاشقّاء الخمسة اليوم الحنوسن وتفصيل انساب اولاده الثمانية يطول ولنقتصر على مولانا علىّ لانّه الغرض المقصود فنقول ولد لمولانا علىّ ثلاثة من الولد وهم مولانا مُحَمّـد بالفتح ومولانا محرز ومولانا هـاشم وهو جدّ اهل زاوية الامراني وكلّهم قد عقبوا فامّا مولاي مُحَمّد فولد له مولانا علىّ وهو الجدّ الاقرب لمولانا نصره الله مع عدّة اولاد غيره وتوفّى بمرّاكش رحمه الله وبنى عليه حفيده امير المؤمنين مولانا الرشيد قبّة تلقـاء ضريح القاضى عياض رحمه الله ورضى عنه وذكر بعض العلماء انّ رجلاً من الاولياء قدم مرّاكش من اهـل المشرق فتحدّث اناس بانّه من اهل المكاشفـات وادّعى انّه يميّز بين الاموات في القبور ويعرف الصالح من الطالح والكامل من الناقص فذهب به بعض الفقهاء لزاوية القاضى عياض بقصد الاختبار فادخله القبّة التى بمقبرة ابي الفضل فلمّا دخلهـا قال انّي ارى هنـا خنازير فكان كذلك لانّ هذه القبّة لم يدفن فيها الاّ الاعلاج فادخله لقبّة مولانا علىّ فقال انّي اشمّ هنا رايحة المصطفى صلّى الله عليـه وسلّم وفي الحكاية طول وبعضهم يزيد فيهـا ما لا اعتقد صحّته وولد لمولانا علىّ تسعة من البنين مولانا الشريف والد مولانا نصره الله والسيّد الحفيد والسيّد حجّاج والسيّد محرز والسيّد مروان والسيّد فضيل والسيّد ابو زكرياء والسيّد مبارك والسيّد سعيد فهولاء عدد اولاد مولانا علىّ وكان مولانا الشريف افضلهم واشهرهم وله رحمه الله عدّة اولاد كلّهم نجوم زاهرة ولهم همم باهرة منهم مولانا اسمـاعيل نصره الله وهو واسطة عقدهم ومنهم مولانا مُحَمّد بفتح الميم وهو اكبرهم ومنهم مولانا الرشيد وهو افضلهم حلماً وسياتي خبرهما في السمط الثاني ان شاء الله تعالى ومنهم مولانا الحران ومولانا محرز ومولانا يوسف ومولانا احمد ومولانا الكبير ومولانا حمـادي ومولانا العباس ومولانا سعيد ومولانا هاشم ومولانا علىّ ومولانا المهدي وهو شقيقه نصره الله هذا مـا تيسّر جمعه وذكره في نسبهـم الشريف وفيه كفايـة والله اعلم بغيبه واحكامه وبيده تصاريف الامور

ذكر الخبر عن كيفية اتصال مولاي محمّد بن الشريف بالملك

رحمه الله وركوبه في ذلك الفلك

كان ابو الاملاك مولانا الشريف رحمه الله وجيهاً عند اهل سجلماسة وكافّة اهل المغرب يقصدونه في المعضلات ويستشفعون به في الازمّات ويهرعون اليه فيما جلّ وقلّ من الملمّات وكان رحمه الله وهو صبيّ صغير مرّ ذات يوم على الامام العالم العامل ابي محمّد عبد الله بن علىّ بن طاهر الحسنىّ فسال عنه ابو محمّد اذ لم يكن يعرفه فقيل له هو ابن مولانا علىّ بن محمّد ففرح به ومسح على ظهره وقال ماذا يخرج من هذا الظهر من الملوك والسلاطين فتيقّن الناس ان هذا الامر يقع لما يعلمون من ولاية ابي محمّد رضى الله عنه فكان مولانا الشريف بعد ان كبر وتزايد له الاولاد يشيع ذلك ويقول انّ هذا الامر لا بدّ ان يصير الى بنيه ويملكونه وانّه سيكون لهم الشان العظيم اعتماداً منه على فراسة مولانا عبد الله بن علىّ بن طاهر رحمه الله وكان بين مولانا الشريف وبين اهل تابوعصامت وهو حصن منيع من حصون سجلماسة عداوة عظيمة فاستصرخ عليهم بابي الحسن علىّ بن محمّد صاحب السوس المتقدّم الذكر لمحبّة كانت بينه وبينه واستصرخ اهل تابوعصامت باهل زاوية الدلاء فاغاثوهم وتوافى عسكر ابي الحسن وعسكر اهل الزاوية بسجلماسة فانفصل الجمعان من غير قتال صلحاً وحقناً لدماء المسلمين وكان ذلك سنة ثلاث واربعين والف ولمّا راى اهل تابوعصامت ما بين مولاي الشريف وبين ابي الحسن علىّ بن محمّد السوسىّ من المصادقة والمحبّة تمالوا بكلّيّتهم لابي الحسن وخدموه بانفسهم واولادهم واظهروا له النصيحة والمحبّة وصدق الخدمة طمعاً في ان يفسدوا ما بينه وبين مولاي الشريف من الصداقة اذ كان ظاهراً عليهم به فلم يزالوا

يفسدون ما بينهما الى ان اظلم الجوّ بينهما واستحكمت القطيعة ثمّ ان السيد مولاي محمّد بن الشريف لمّا راى ذلك انتهز الفرصة في اهل تابوعصامت وخرج ليلاً في نحو مايتين من الفرسان مظهراً انّه قاصداً لبعض النواحى فما راع اهل تابوعصامت الاّ ومولاي محمّد تسوّر عليهم وحكم السيف فيهم ومكّنه الله منهم واستولى على ذخائرهم فقرّت بذلك عين مولاي الشريف وبلّغه الله في اعدائه ما كان يرجو ثمّ انّه نمى خبر اهل تابوعصامت لابي الحسن فغضب لذلك غضباً شديداً وكتب لعامله على سجلماسة ان يحتال على مولاي الشريف حتّى يقبض عليه ويبعثه اليه حبيساً ففعل ذلك العامل وحمل مولانا الشريف لصاحب السوس فاعتقله في قلعة هنالك مدّة الى ان افتكه ولده مولاي محمّد بمال عظيم فراح لسجلماسة في حكاية طويلة اضربنا عنها اختصاراً وكان ذلك في حدود عام سبعة واربعين والف وفي ايّام اعتقال مولاي الشريف كان ولده مولاي محمّد مجمعاً على اهلاك من بقى من اهل تابوعصامت وحريصاً على استيصال شافتهم وقوّى عضده بما اخذ من اموال اهل تابوعصامت واتّخذ جيشاً لا باس به وانضاف له جمع من اهل سجلماسة ونواحيها لانّ اصحاب السيّد ابى الحسن علىّ بن محمّد اساؤوا السيرة بسجلماسة ونصبوا حبالة الطمع حتّى بذروا بذر بغضه في قلوب اهلها ولقد كان اصحابه بسجلماسة وضربوا الخراج على كلّ شئ حتّى على من يجدونه في الشمس زمان الشتاء او في الظلّ زمان المصيف وضيّقوا على الناس فازدرتهم العيون وكرهتهم القلوب فلمّا ثار مولاي محمّد وجد فيهم الداغية للخلاف فوجّهوا وجه العناية اليه واعصوصبوا عليه واجلوا اصحاب ابي الحسن عنه واخرجوا عمّاله من بلادهم واعلنوا بعدم طاعته فوافقهم القدر المقدور وكان امر الله قدراً مقدوراً والى الله تصير الامور

ذكر الخبر عن بيعة مولاي محمّد بن الشريف

وبقيّة اخباره الى ان قتل رحمه الله تعالى

كانت مبايعة مولاي محمّد بن الشريف رحمه الله بسجلماسة بعد جلاء اصحاب ابي الحسن عنها سنة خمسين والف ووافق على بيعته اهل الحلّ والعقد يومئذ بسجلماسة ولمّا تمّت له البيعة شمر لمضايقة ابي الحسن بدرعة اذ كانت تحت ولايته فوقع بينهما حرب عظيم وقتال فضيع يشيب له الرضيع وانقشع سحاب الفتنة عن غلبة مولاي محمّد وهزيمة ابي الحسن وفراره فاستولى مولاي محمّد على درعة ولمّا عظمت ايالة مولانا محمّد وتوفّرت جموعه وانتشر في البلاد صيته بعث له اهل فاس وعرب المغرب يطلبون منه المجيء الى ارضهم ويواعدونه بالنصرة له وتقويته بالعدّة والعدد فاقبل نحوهم مسرعاً الى ان دخل لفاس الجديد دخول الشمس بدار الحمل منسلخ جمادي الثانية سنة تسع وخمسين والف فبايعه اهل فاس القديمة والجديدة وبقي هنالك مدّة الى ان جلاه عنها اهل الزاوية كما ذكرناه قبل في السنة المذكورة فرجع لسجلماسة ولم يزل مقتصراً على ما صفا له من درعة وسجلماسة ونواحيها الى ان ثار عليه اخوه مولانا الرشيد بن الشريف بعرب انجاد بعد ان كان تحت طاعته وفي خدمته فوقع بينهما ما اوجب البغضاء الى ان فرّ مولانا الرشيد منه خوفاً على نفسه ولم يزل يجول في البلدان طامعاً في اقتناص الملك الى ان ادّته خاتمة الجولان الى قصبة ابن مشعل فوجد فيها يهودياً من اهل الذمّة له اموال طائلة وذخائر نفيسة وله على المسلمين صولة واستهزاء بالدين واهله فلم يزل مولانا الرشيد ينظر في كيفيّة اغتيال ذلك اليهوديّ الى ان امكنه الله منه في قضية يطول جلبها فقتله واخذ امواله وذخائره وفرّقها فيمن تبعه وانضاف اليه فتقوّى

بذلك عضده وتوافر جمعه وتناقل الركبان حديثه ولمّا انتهى خبره لمولاي محمّد تخوّف منه لما يعلم من صدامته فتوجّه لمقاتلته والقبض عليه فلمّا التقى الجمعان كانت اوّل رصاصة في نحر مولاي محمّد رحمه الله فوافته منيّته وقضى نحبه يوم الجمعة التاسع من المحرّم فاتح خمسة وسبعين والف فاسف مولانا الرشيد رحمه الله على قتله واظهر الحزن عليه ولمّا قتل رحمه الله انحشرت جموعه برمّتها لاخيه مولانا الرشيد ودخلوا تحت طاعته اجمعين وتقوّى امره في الحين والملك لله وحده يوتي الملك من يشاء وكان مولانا محمّد رحمه الله شجاعاً مقداماً لا يبالي بنفسه ولا يخطر في خاطره خوف احد من ابناء جنسه ولقد احسن اهل زاوية الدلاء حيث قالوا في حقّه اجدل لا توذيه سموم الليالي ولا حرارة قيظ المصيف عقاب اشهب على قنّة كل عقبة لا يقنعه المال عن حسم الرقبة وشجاعته شهيرة وكان قويّاً ايّداً لا يقاوم في المصارعة وحكى انّه في بعض حصاره لتابوعصامت جعل يده في ثقب القصر وصعد عليها ما لا يحصى من الناس كانّها خشبة منصوبة او لبنة مضروبة وكان سخيّاً جواداً حتّى انه اعطى للاديب الشهير المتقدّم في صناعة الشعر الموزون والملحون ابي عثمان السيّد سعيد التلمسانيّ نحواً من خمسة وعشرين رطلاً من خالص الذهب جائزة له على بعض امداحه فيه وحكايته في هذا المعنى شهيرة ولمّا قتل قام ولده مولانا محمّد مقامه لكنّه لم يتمّ له الامر في قضيّة يطول ذكرها

ذكر الخبر عن دولة السلطان الافخم مولانا الرشيد

بن الشريف وما وقع فيها الى ان مات رحمه الله تعالى

لمّا قتل مولانا محمّد بن الشريف كما سلف استولى مولانا الرشيد على جيوشه وتوجّه لتازى فافتتحها بعد محاربة طويلة وتمكّن منها ثمّ توجّهت عنايته لفاس فلمّا بلغها حاصره اهلها فاناخ عليهم بكلكله وارجف عليهم بخيله ورجله مدّة

الى ان اقتحمها عليهم قهراً وفتك بابطالها واوقع بحماتها وكانت فاس قبله تقاسمها الثوار ونبغ منها فى كلّ جهة قائم وصاح في كلّ كدية ديك فكان ابن صالح حامى بيضة الاندلسيّين وما انضاف اليهم وكان ابن صغير كبير اللمطيين ومن انضاف اليهم ووقع بين الفريقين حروب كثيرة كما المعنا اليه قبل هذا وكان امر فاس الجديد في يد رجل يقال له الدريديّ فاقتحم مولانا الرشيد فاساً القديمة فافنى روساءها قتلاً وحكم فيهم السيف فتمهّدت له البلاد واجتمعت له الكلمة وكان دخوله لفاس القديمة صبيحة يوم الاثنين الاوّل من ذي الحجّة سنة ستّ وسبعين والف وبويع له فيها يومه ذلك ولمّا تمّت له البيعة افاض المال على علمائها وغمرهم بجزيل العطايا وبسط جناح الشفقة على اهلها واظهر احياء السنّة ونصر الشريعة فحلّ من قلوبهم بالمكان الارفع وسكنت محبّته في قلوب الخاصّة والعامّة ولم يلبث فيها الّا يسيراً ثمّ توجه للدلاء فاطفى جمرتهم وفرّق جماعتهم وبدّد شملهم وكلمتهم حسبما شرّحناه قبل ثمّ توجّه لمقاتلة الشبانة بمرّاكش وجمع الكلمة بهم فلمّا بلغهم الخبر بتوجّهه اليهم هربوا عنها رعباً منه لما بلغهم انّه أفتك باهل الزاوية الدلائيّة ومزقهم كلّ ممزق فخامر قلوبهم من الجزع ما حملهم على الفرار من المدينة الى بعض شواهق الجبال فدخل مرّاكش وافنى من وجد فيها من الشبانة قتلاً واستنزل تلك الفئة الشديدة من الصياصى واخذهم بالاقدام والنواصى ثمّ توجّه الى سوس الاقصى فمهّد جوانبه وسكن روعته واناخ على ايلغ مقرّ ابي الحسن فتركه شذراً فتمهّدت له بلاد المغرب من تلمسان الى وادي نول من تخوم الصحراء وكان رحمه الله محبّاً في جانب العلماء موثراً لاغراضهم مولعاً بمجالستهم محسناً اليهم حيث ما كانوا وكان جواداً سخيّاً رحل الناس اليه من المشرق فما دونه وقصده بعض طلبة الجزائر ومدحه ببيتين وهما

فاض بحر الفرات في كلّ قطر من ندا راحتيك عذبا فراتا

غرف الناس فيه والتمس الفـ ـقر خلاصاً فلم يجده فـاتا

فوصله بالفين ونصف دنانير وثناؤه رحمه الله في السخاء لا يلحق والحكايات عنه بذلك شهيرة وفي ايّامه كثر العلم وظهر للعلمـاء ابهة ورياسة واعتزّ العلم واهله وكانت ايّامه ايّام سكون ودعة ورخاء عظيم وسبب وفاته رحمه الله انّه كان ركب على فرس جموح فاجراه فلم يملك عنانه الى ان قصد به شجرة نارنج فهشم غصن منها راسه فكانت فيه منيّته وفي ذلك قال بعضهم

وما شجّ ذاك الغصن راس امامنا لسوء ولا قـدر المحبّـة جاحد
ولكنّه قد غار من لين قدّه وانّ من الاشجار من هو حاسد

وكانت وفاته رحمه الله بمرّاكش ليلة الجمعة حادي عشر ذي الحجّة عام اثنين وثمانين والف ودفن بها الى ان نقل منها فدفن بروضة الوليّ الصالح العالم العلم الواضح ابي الحسن سيّدي عليّ بن حرزهم بفاس لوصيّة منه بذلك

ذكر الخبر عن السلطان المظفّر مولانا اسماعيل

بن الشريف رحمه الله تعالى

لمّا توفّي مولانا الرشيد رحمه الله تعالى بمرّاكش بلغت وفاته ابا النصر مولانا اسماعيل رحمه الله وكان خليفة بفاس الجديد ليلة الاربعاء السادس عشر من ذي الحجّة سنة اثنين وثمانين والف فبويع رحمه الله وحضر على بيعته اعيان المغرب وصلحاؤه بحيث لم ينازع في انه احقّ بهـا واهلها احد ممّن يشار اليه وكانت مبايعته رحمه الله في الساعة الثانية من يوم الاربعاء سـادس عشر ذي الحجّـة متمّ عام اثنين وثمانين والف ووافق ذلك ثالث يوم من شهر ابريل

وكانت سنّه يوم بويع ستّاً وعشرين سنة لانّ ولادته كانت في وقعة الحثارة وهى مورّخة بخطّ من اثق به سنة ستّ وخمسين والف ولمّا تمّت له البيعة نهض باعباء الخلافة واحسن السيرة وضبط الامور كلّها وتمهّدت له البلاد ودان له قريبها وبعيدها مع محاربات طويلة ومنازلات عديدة مع الثوار عليه كان ولد اخيه ابي العبّاس مولانا احمد بن محرز بن الشريف ثار عليه بمرّاكش وغيرها ولم يزل في دفاعه الى ان قتل في اواسط ذي القعدة عام ستّة وتسعين والف ووقعت بينهما وقائع عظام يطول في بسطها القول وشقّ عليه العصا ايضاً اهل فاس فحاصرهم مدّة من خمسة عشر شهراً الى ان اتوه مذعنين في التاسع عشر من رجب عام اربعة وثمانين وما وقع له رحمه الله من الحروب مع الباغين عليه يطول فيها الشرح والغرض الاختصار ولم يزل رحمه الله في مقاتلة العادين من الثوّار والعاصين من القبائل الى ان دوّخ بلاد المغرب كلّها وطوّعها وعرها وسهلها واستولى على تخوم السودان وبلغ فيها ما وراء النيل وانتشرت دولته في عماير السودان وبلغ في ذلك ما لم يبلغه السلطان ابو العبّاس احمد الذهبيّ المنصور ولا احد قبله وامتدّت مملكته من جهة الشرق الى قرب بلاد بسكرة من بلاد الجريد ونواحى تلمسان والله يعلم حيث يجعل رسالاته

ذكر الخبر عن محاسن هذه الدولة وعدد مفاخرها

وما يناسب ذلك

لا يخفى على من نظر بعين الانصاف وتحلّى بقول الحقّ الذي هو احمد الاوصاف انّ هذه الدولة الحسنيّة لم ير الراءون ولا سمع السامعون مثلها لما اشتملت عليه من المفاخر التى يكلّ في تعدادها الاوّل والاخر ولقد ظهر فيها

من الخيرات ما لا يحصى وراى الناس من الامن والرخاء والهنا ما لم يخطر لاحد ببال وكلّ ذلك ممّا شاع وذاع وامتلات منه الاسماع ومن محاسن هذه الدولة ادامها الله تعالي تنقية بلاد المغرب من نجاسة الكفر وردّ كيد العدوّ الكافر وقد فتح رحمه الله عدّة من المدن كانت بيد النصارى من مفاسد المغرب ولم يهن للمسلمين معها قرار من ذلك المعمورة المسمّاة بالمهديّة فانه رحمه الله فتحها عنوة بعد ان حاصرها مدّة وكان فتحها يوم الخميس الرابع عشر من ربيع الثاني عام اثنين وتسعين والف واسر بها نحو الثلاثماية من الكفّار ومنها طنجة فانّه رحمه الله بعث جيوشه فضيّقوا على من بها من النصارى الى ان ركبوا سفائنهم وهربوا في البحر وتركوها خاوية على عروشها وذلك في ربيع الثاني عام خمسة وتسعين والف ومن ذلك مدينة العرائش فانّ النصارى دمّرهم الله استولوا عليها من يد السلطان محمّد الشيخ بن المنصور الذهبيّ ولم يزالوا بها الى ان اخرجهم مولانا اسماعيل رحمه الله فبعث لها جيوشه وحاصروهم نحواً من ثلاثة اشهر ونصف ثمّ منّ الله عليه بفتحها بعد معانات شديدة وحصار ومقاتلات عديدة وذلك انّهم حفروا حفائر وشحنوها بالبارود فاسقط بعض سور المدينة فاقتحم منها المسلمون ووثبوا على من بالاسوار فوقعت ملحمة عظيمة ثمّ فرّ الكفّار للبساتين واقاموا بها يوماً وليلة فدخلهم الخوف فخرجوا منها صاغرين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وكان عدد نصارى العرائش قبل الاستيلاء عليهم ثلاثة الاف ومايتين ولمّا ظفر بهم المسلمون اسروا منهم الفين ومات نحو اثنى عشرماية ووجد بها من البارود ما لا يحصى كثرة ومن الانفاض نحو ماية وثمانين منها اثنان وعشرون من النحاس والباقى من الحديد منها نفض يسمّى بالقصاب في طوله خمس وثلاثون قدماً بالحساب زنة كورته خمسة وثلاثون من الارطال بحيث حلق عليه بقرب خزانته اربعة رجال كذا سمع من المشاهدين لذلك بعد السوال عنه فازداد المسلمون وامیرهم بذلك قوّة وفرحوا بذلك فرحاً عظيماً وسرّوا

به سروراً ونصرة وحلّ بالكفار لاجل فتح العرائش ندامة وحسرة فدخل الرعب جميعهم بحراً وبرّاً اذ دخلوها المسلمون عنوة وكان فتح العرائش في الثامن عشر من المحرّم عام احد ومائة والف وفي فتح العرائش هذا انشد الشيخ الخطيب البليغ اديب حضرة فاس ومفتيها ابو محمّد عبد الواحد البوعنانيّ الشريف يمدح السلطان مولانا اسماعيل يهنّيه ويحرضه فقال وما اسرّ ما قال

الا ابشر فهذا الفتح نور ... قد انتظمت بعزّكم الامور
وطير السعد نادى حيث غنّا ... قد انشرحت بفتحكم الصدور
وضوء النصر ساعده التهاني ... ونور الفخر نحوكم يدور
وقد وافتكم الخيرات طرّا ... وطاب العيش واتّصل السرور
حميتم بيضة الاسلام لمّا ... بثغر الحقّ قد حرس الثغور
وجاهدتم وقاتلتم فاتتم ... لدين الله اقمار بدور
واطعمتم صوارمكم لحوماً ... لدى الهيجاء صاحبها كفور
ففقت البدر يوم السلم حسناً ... وفي يوم الوغا الاسد الهصور
وفي ثغر العرائش قد تبدّى ... لقدركم على الشعرى الظهور
لقد كان الملوك يساومونها ... وراموها ومنها بدا نفور
فلمّا جئتها نادت وقالت ... اليك يحقّ مولانا السرور
ملكت قياد ساكنها بذلّ ... فما اغنى الحصار ولا العبور
قهرتم بابطال عظام ... على الهيجاء كلّهم جسور
فكم راس من الكفّار امسى ... قطيع الراس مجروراً يخور
وكم نحر قلادته رماح ... وسنّ الرمح مركزه النحور
وكم اسر وكم قتل بارض ... وكم جرحى دماؤهم تفور
واضحى الناس كلّهم نشاوي ... على طرب وما شربت خمور
فبشراكم فهذا الفتح نور ... وبشراكم به من الغفور

به زادت مئاثركم علوّاً ... وقد عظمت بذكركم الاجور
الا يا معشر الكفّار هذا ... يبدّدكم وليس له فتور
الا يا اهل سبتة قد اتاكم ... بسيف الله سلطان وقور
اذا ما جاء سبتة في عشى ... تناديه اذا كان البكور
متى ياتي ويفتحها قريباً ... ويلحق اهلها منه الثبور
ووهران تنادي كلّ يوم ... متى ياتي الامام حتّى يزور
فيهزمكم ويقنصكم ويسبي ... وسيف الحقّ في يده ينور
ايا مولاي قم وانهض وبادر ... لاندلس فانت بها الامير
وجاهدهم وحاربهم وفرّق ... جموعهم فربّكم النصير
ولا يمنعْ بفضل الله منها ... كما قد قال برّاً او بحور
لسان الحال ينشد كلّ يوم ... ومعنى الحال تفهمه الصدور
بقرطبة تنال المجد طرّاً ... وياتي العزّ والملك الكبير
وذلكم بعون الله سهل ... ومن بركاتكم امر يسير
ايا مولاي اسماعيل هذا ... عبيدكم الضعيف المستجير
يناديكم يناديكم ويدعو ... دعاءً لا توهّنه الدهور
فيا ربّ البريّة يا الاهى ... ويا رحمان يا نعم المجير
ابثّ هذا الامير بكلّ خير ... ولا تجعل تجارته تبور
وابق الملك فيه وفي بنيه ... ولو كرهت زيود او عمور
ونحن رعيّة نرجو هناء ... وبالسلطان تنتظم الامور
عليكم من عبيدكم سلام ... مدا الدنيا يضمّنه العبير
يعمّ جنابكم ما قال صبّ ... الا ابشر فهذا الفتح نور

وبالجملة فمحاسن هذه الدولة السعيدة ممّا يضيق القول في استقصائها ويكلّ اللسان والقلم عن احصائها وقد اجمع اهل العقول الكاملة على انّ مثل هذه الدولة

السعيدة المنصورة لم يكن ولا سمع بنظيرها فيما غبر من الدول وقد بلغت من ضخامة المملكة وعظم السلطنة ما انسى دول المغرب السالفة نسال الله ان يديم علينا ظلها الوريف ويحفظ من الافات جانبها الشريف فانّ وجوده عصمة من طوفان الفتن وملجا من ياجوج المحن وقد قرات في كتاب الحلية للحافظ ابي نعيم رحمه الله قال مرّ هارون الرشيد على الفضيل بن العياض رضى الله عنه فوقف الفضيل ينظر فيه وفي اصحابه الى ان غاب عنه فقال ماذا يرى الناس من الفتن عند غروب شمس هذا الرجل . واذا كان ذلك في زمانهما الذي الغالب على اهله الخير والصلاح فما ظنّك بزماننا هذا الذي جرت فيه امواج الفساد والشرّ هو ديران العباد وما احسن ما انشدنيه صاحبنا الفقيه ابو عبد الله محمّد بن عبد الله الجزوليّ لنفسه في قصيدة في مدح هذه الدولة

مولاي اسماعيل يا شمس الورى ... يا من جميع الكائنات فدى له
ما انت الاّ سيف حقّ منتضى ... الله من دون الخليفة سلّه
من لا يرى لك طاعة فالله قد ... اعماه عن قصد الهوى واضلّه

قال مؤلّفه عبيد الله سبحانه محمّد الصغير بن الحاجّ محمّد بن عبد الله الوفرانيّ النجار المرّاكشيّ الوجار جبر الله صدعه وسكن روعه هنا انتهى ما حمّ لنا تسطيره ووفا ما وافى روض طروسنا مطيره من اخبار الملوك والروساء وذكر طبقات من احسن منهم ومن اساء مع الالماع بفوائد مستملحة وبدائع يقع عليها اختيار من لحة وادبيّات بدورها في افق المحاضرات زواهر وغرائب جواهر فوائدها للعقول بواهر وقد بلغت المنتقى في ذلك غاية وصرّفت لجمعه عنان العناية وبذلت فيه جهدي وانفقت من وجدي على قدر ما عندي وقد كنت جمعت محصله في بطائق فاذا رمت تهذيبه عاق منه عائق ولمّا المّت بنا تلك المصيبة القادحة ورمتنا باسهمها التى هى في عرض الدين قادحة عاد رتك فكري سجاحاً واستولى علىّ ما صيّرت به احاديث النشاط ضعافاً واحاديث الكسل صحاحاً واشتغلت الجوانح والجوارح بدعى اهوال همل وبوارح ونبذت تلك التقاييد بزوايا الهجران حتّى نسجت عليها عناكب النسيان وصرت اذا وجهت الوجهة لاكمال تلك النزهة انشد لسان الحال الجد العاثر

هذا زمان دراهم لا غيرها دع الدفاتر للزمان الفاتر

ثمّ تكرّر الطلب الىّ وآكّد في جمع ذلك التاليف علىّ من لا استطيع مقابلة امره بالاهمال ولا اقدر ان اسجل على بيّنة غرضه الا بالاعمال وهو عين الاعيان وصدر ارباب البلاغة والبيان الفقيه الذي تهتدي الفقهاء بعلمه وعمله والاديب الذي تقتدي البلغاء ببراعة قلمه بقيّة السلف وقدوة الخلف الوليّ الصالح ابو عبد الله سيّدي محمّد الصالح ابن الوليّ العارف سيّدي محمّد المعطى حفيد تاج العارفين وخاتمة الاولياء المحبوبين ابي عبد الله سيّدي محمّد الشرقىّ نفع الله به وابقى جلاله محروساً وادام ذكره في روض المكارم مغروساً فهو الذي اعاد لفكري قوّة النشاط ونشر عليه بساط الانبساط فانقشع عنّى سحاب الكسل

والجاب وناديت فكري مع ضعفه للتاليف فاجاب ورقمت ما فاق به الخطاب وطاب الوطاب وانا في ثوب الغنى رافل وقلمى ان لم يويّد عن الاصابة غافل فالحمد لله الذي يسّر في هذا القدر مع تكدّر منهل الصدر ومنّ به مع نزر البضاعة والتطفّل على هذه الصناعة والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا ان هدانا الله وصلّى الله على سيّدنا محمّد خاتم النبيين وشافع المذنبين ورضى الله تعالى عن آله واصحابه الاكرمين واخر دعونا ان الحمد لله ربّ العالمين كمل بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل وبمنّه ولا حول ولا قوة الّا بالله العلّى العظيم

انتهى

obeikandl.com